

## الحلقة (١٦)

**فأول حديث معنا في هذه الحلقة هو حديث ابن عمر رضي الله عنهما:** قال: قلت لبلال كيف رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يردُّ عليهم حين يُسلمون عليه، وهو يصلي؟ قال: يقول هكذا، وبسط كفه. أخرجه أبو داود والترمذي وصححه.

هذا كلام ابن حجر فيمن خرج هذا الحديث، وزيادة على ذلك أيضاً أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة.

### درجة الحديث:

فكما ذكر الحافظ في البلوغ أن الترمذي صححه وكذلك الشوكاني، قال رجاله رجال الصحيح، ومثله قوله أيضاً قاله الساعاتي في كتابه "بلوغ الأمان" قال الحديث رجال الصحيح، فعلى هذا يكون الحديث صحيحاً والله أعلم.

### الألفاظ الواردة في النص:

قوله رضي الله عنه "بسط كفه" بسط الكف: هو نشرها، هو ضد قبضها "قبضها هكذا وبسطها هكذا" فهي ضد القبض أي نشرها. الكف هي راحة اليد مع الأصابع، هذا إذا قيل كف فهو من المفصل إلى آخر الأصابع، هذا كف.

### قصة الحديث

أما الحديث فله قصة، فأين كان هذا السلام من الصحابة رضوان الله عليهم على النبي صلى الله عليه وسلم.

القصة أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خرج إلى قباء ليصلي فيها، فجاء سكان من الأنصار يسلمون عليه، فأدركوه في الصلاة، فكانوا يسلمون وكان يرد عليهم باسطة كفه يشير بها إلى رد السلام صلى الله عليه وسلم، فإذا المكان مسجد قباء، وأما سبب مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، فهو للصلاة في قباء، ولذلك نقول أن هذا الفعل من النبي صلى الله عليه وسلم يكون مرغّباً فيه للأمة لمن استطاع أن يذهب إلى قُباء أن يذهب فيصلي فيه، فيكون فعله سنة مقتدياً بالنبي صلى الله عليه وسلم، يستحب له أن يذهب إليه إذا كان هناك إذا كان في المدينة، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، سواء ذهب إليه ماشياً أو راكباً، فيذهب إلى قباء ليصلي فيه اقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم هو مأجور على ذلك، على هذا المشي وعلى هذه النية التي هي الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم هذه هي قصة الحديث.

**رد السلام** هنا الرد كان بالإشارة فهل يكون الرد بالإشارة في كل الأحوال للمصلي؟ وهل هذا يكون رداً للسلام إذا سُلم على الإنسان، أن يرد بيده؟ نذكر الناس كثير منهم على هذا المنهج، الآية صريحة

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا } في الرد أن يكون مساويا للبدء بالسلام، فإذا قال المُسلم: السلام عليكم، فأقل الأحوال للمسلم عليه أن يقول وعليكم السلام، وإن زاد فهو الأفضل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، لأن هذا هو ما يفهم من قوله تعالى: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا } يعني أقل الأحوال رد السلام.

**مسألة الإشارة عندما يسلم على الإنسان يمر المار فقال السلام عليكم، أو زاد ورحمة الله وبركاته، فرد المُسلم عليه بيده وهو ليس في الصلاة هل يكون رد السلام، ورده هنا كافياً؟**

**الجواب:** لا، لا يكون كافياً لأنه ما امتثل أمر الله سبحانه وتعالى، ما رد بأحسن ولا ردها مثلها، فالإشارة ليست رداً للسلام عندما يُسلم على الإنسان، ليس رده الإشارة باليد إلا إذا كان المقصود بالإشارة إفهام المسلم إذا لم يكن سامعاً للصوت، بأنه بلغه السلام ورد عليه، ولكن لا يغني عن التلفظ، فهو مع الإشارة يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإلا لا يكون راداً للسلام، مجرد إشارة لا تكون رداً للسلام إذا سُلم عليه بالسلام الشرعي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما إذا كانت كلها إشارة من المُسلم ومن المُسلم عليه فإذا مثلها، لكنه لا تكفي الإشارة.

**مسألة لو استعاض بالألفاظ أخرى غير السلام الشرعي، المُسلم قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، المُسلم عليه قال: يا هلا أو مرحبا وهذا موجود الآن في واقع المسلمين اليوم، فهل هذا رد للسلام؟** نقول لا ليس رداً للسلام، فيجب عليه أن يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إذا كان المُسلم قال هذه الجملة كاملة، وإن ضاف مع ذلك يا هلا يا مرحبا أو من الألفاظ التي يستعملها الناس لا مانع من ذلك فهي إضافة، ونقول هذه لعل فيها زيادة لأنه رد بأحسن، لكنها لا تكفي لوحدها ولا تعتبر رداً للسلام الشرعي في هذا، وهو بذلك لم يؤدِّ الواجب الشرعي الذي عليه، لأن رد السلام واجب، فهنا ما أدى الواجب الذي عليه، فلا بد في رد السلام أن يأتي بأحسن مما سلم به عليه أو يرد نفس السلام تماماً، وهذا ما نصت عليه الآية "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها".

**مسألة الآن النبي صلى الله عليه وسلم رد بالإشارة، فمعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ما رد بأحسن منها أو مثلها، فماذا يقال عن ذلك؟**

يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في صلاة، وردَّه بالإشارة لا يستطيع أكثر من ذلك، لأنه لو تكلم في صلاته بطلت صلاته، لو رد عليهم بطلت صلاته، إذاً أقصى ما يمكن أن يفعله هو الإشارة، فإذاً هذا هو أحسن ما يمكن الرد به هنا أنه يكون بالإشارة هذا حال الصلاة، أن يكون حال الصلاة فيرد عليهم بما يستطيع وهذا غاية ما يستطيع فلا يستطيع أكثر من ذلك، هذا بالنسبة لرد النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون الرد بما استطاع الرد به.

**من الأحكام المستنبطة من هذا الحديث:**

**دل الحديث على** أن الإشارة في الصلاة لا تبطلها حتى وإن كانت مفهومة، لأنها تكفي عن الكلام، الكلام في الصلاة يبطلها، لكن الإشارة تكفي فإذا تحقق الغرض من دون أن يبطل صلاته، وسواء كانت هذه الإشارة باليد، بالأصبع، بالرأس، بالعين ونحو ذلك، أي إشارة تصدر من المصلي لحاجة دعته إلى ذلك وإن لم تكن لصالح الصلاة فلا تبطل عليه صلاته وهذا مأخوذ من هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرد عليهم بالإشارة".

### **مسألة كيف تكون الإشارة حال الرد، يعني هل يرفع يده أم ماذا وهو في الصلاة؟**

جاء ذلك في حديث ابن عمر في وصفه لرده صلى الله عليه وسلم في سلامه على الأنصار، قال: أنه صلى الله عليه وسلم قال هكذا، وبسط جعفر بن عون وهو الراوي عن ابن عمر بسط كفه وجعل بطنه أسفل، وجعل ظهره فوق، إذا ما رفع يده ولا رفع كفه صلى الله عليه وسلم إنما أشار بكفه هكذا فجعل ظهره إلى الأعلى وباطنه إلى الأسفل، لأن هذه إشارة يفهمها المسلم، ويكفي بهذا، لا يرفع يده فإنما بهذه الإشارة الخفيفة يفهم منه المراد فيكون ذلك.

إذا دعت الحاجة لغير هذا، بالإصبع أو بالرأس أو ما شابه ذلك، فلا يبطل ذلك الصلاة، لأن هذه حركة يسيرة لا تؤثر في الصلاة، ولا تبطلها وهي تغني عن الكلام لو أراد الإنسان أو دعت الحاجة إلى الكلام، فهي تغني عن الكلام.

**نقول أيضاً هذه من الفوائد** أن الحركة إذا كانت قليلة لحاجة لا تبطل الصلاة كفعل النبي صلى الله عليه وسلم، كان يبسط يده لكل مسلم، يعني ما كان المسلم واحداً فقط، عدد من الأنصار رضي الله عنهم كانوا يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ما سلم عليه واحد بسط كفه صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت هذه الحركة حركة يسيرة ليست حركة كثيرة ودل ذلك أنها لا تبطل الصلاة.

**أيضاً من الأحكام المستنبطة من الحديث:** جواز السلام على المصلي، أخذنا هذا من إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار عندما سلموا عليه، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم إذا ثبت ذلك يثبت به الحكم، فالحديث المرفوع ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وهذا هو التقرير، الأنصار سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليهم، لو كان ذلك لا يجوز أو لا يصح وهو في الصلاة لبين لهم بعد صلاته صلى الله عليه وسلم، فهو لا يسكت عن التبيين وقت الحاجة، فحيث سكت معنى ذلك إقرار، أقرهم على ذلك، ويؤخذ من ذلك جواز السلام على المصلي وأن ذلك لا يؤثر في صلاته.

**أيضاً من الأحكام المستنبطة من هذا الحديث:** حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يأتي أبواب الخير حسب القدرة عليها، وبحسب حاله الذي هو فيه، وهو بذلك يشرع لأئمة صلى الله عليه وسلم، فمن أبواب الخير السلام ورد السلام، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله وهو في الصلاة، كان يرد السلام وهو في الصلاة، فهذا باب من أبواب الخير، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يرد على المسلمين

عليه بالإشارة مع كون رد السلام أمر شرعي واجب الرد فيه، إلا أن فيه حسن خلق من النبي صلى الله عليه وسلم بأن أقرهم على هذا ولم ينكر عليهم، وتفاعل معهم وهو في صلاته برد السلام بالإشارة.

**أيضاً يؤخذ من هذا الحديث** وجوب رد السلام حتى وإن كان في الصلاة، وكما تقدم معنا في الآية قول الله سبحانه وتعالى { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا }، وكان الرد في الصلاة أقصى ما فيه كما تقدم أن يرد بالإشارة في ذلك، فرد صلى الله عليه وسلم، وأخذ من ذلك أن رد السلام واجب حتى وإن كان في الصلاة.

ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث الذي سقناه في كيفية إشارة النبي صلى الله عليه وسلم في بسط الكف يعطينا مدى تمسك ابن عمر رضي الله عنهما بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يسأل عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، كسؤاله هنا لبلال رضي الله عنه، لأن بلالاً كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يراه حين يُسلم عليه ويرد السلام بالإشارة، فابن عمر أراد أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فسأل بلال كيف كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم عندما سلم عليه الناس، كان يسأل كذلك أخته حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، فكان يسألها أيضاً عما خفي عليه من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، فكان رضي الله عنه يجمع بين الرواية والدراسة وكان يحصل على ذلك، فحري بنا وبشباب المسلمين أن يفعلوا مثل هذا في الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالحرص على التعلم، تعلم العلم النافع والعلوم الشرعية والعلوم الضرورية التي يحتاج إليها المسلم، فهذا هو فعل ابن عمر رضي الله عنهما عندما يخفى عليه شيء من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم.

بهذا نكون انتهينا من حديث ابن عمر في سؤاله لبلال رضي الله عنهم في رد النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أصحابه.

**حديث آخر وهو حديث:** أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها" متفق عليه، ولمسلم "وهو يؤم الناس في المسجد".

إذاً الحديث على هذا في الصحيحين، والزيادة ما زاده مسلم كذلك في الصحيح، فلنسنا بحاجة إلى بيان درجته.

**وأما أمامة فهي:** أمامة بنت أبي العاص بن الربيع هذا أبوها، وأما أمها فهي زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو جد أمامة، هذا بالنسبة لأمامة وأمها.

**أما المسائل المتعلقة بهذا الحديث:**

**فالمسألة الأولى:** تتجلى في حسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للصغار ورحمته ورأفته وملاطفته،

حتى وإن كان في العبادة، حتى وإن كان في الصلاة، وهذا نرد به على من ينكر إنكاراً شديداً على من يأتي بطفله إلى المسجد لمجرد أنه أتى به، أما إذا كان فيه أذية للمصلين وإذهاباً خشوع وعبث في المسجد أو في المصاحف أو ما شابه ذلك فنعم هذا ينكر عليه، أما إذا سلم الصغير من هذا كله فحينئذٍ لا يُنكر على من فعل ذلك، لأن هذا هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم، أتى بأمامة بنت زينب رضي الله عنهما أتى بها إلى المسجد حاملاً لها، ثم أم الناس وهو يحمل أمامة بنت زينب رضي الله عنهما، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يحملها ذكر العلماء أن عمرها كان غالباً لا يزيد عن ثلاث سنوات، فهي صغيرة دون التمييز، ومع ذلك أتى بها إلى المسجد وحملها أثناء صلاته، وكانت منه بعض الحركات إذا أراد أن يسجد وضعها فإذا قام حملها، فكل ذلك يؤخذ منه جواز هذا الفعل يعني مثل فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

ونقول في مثل هذا أيضاً من يأتي بأطفاله أو بطفله إلى المسجد، فعليه أن يراعي فيه عدم إزعاج المصلين، عدم تنجيس المكان الذي هو فيه، عدم العبث بما يكون في المسجد من مصاحف وغيرها، فإذا سلم من هذا كله فلا ينكر عليه، أما إذا كان كما يفعل البعض يطلق له الحبل على الغارب ويفعل ما يشاء في المسجد فنعم مثل هذا ينكر عليه لما أحدث في المسجد، لا للمجيء ذاته، إنما لما أحدث، أما المجيء فهذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم فلا ننكر على من فعل مثل فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذاً المسألة الأولى: تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه ورحمته بالكبير والصغير صلى الله عليه وسلم، ولعل هذا فيه دفع للكبر الذي قد يفعله البعض حتى مع أولاده ومع أهله يعني ربما أمام الناس هذا يتأفف من هذا الفعل ويتعالى ويتكبر وقد لا يُلين جانبه لابنه ولا لغيره، في هذا الجانب الذي صلى الله عليه وسلم بين المنهج في هذا.

**المسألة الثانية:** جواز ملامسة وحمل من تُخشى نجاسته، لكن ليست متحققة، هذا الصغير قد لا يتقيد يعني ما تدري في أي لحظة أحدث، خرجت منه نجاسة في أي لحظة، فإذا تُخشى نجاسته، لكن إذا لم يكن هناك أمر معين فيجوز حمله للمصلي، إذا لم تكن هناك نجاسة متعينة فيجوز حمله للمصلي ولا يمنعه الخشية من أن تحدث له النجاسة، فالنبي صلى الله عليه وسلم حمل أمامة وهي صغيرة يُخشى منها أن يحدث منها نجاسة، فإذا نقول هنا أنه يجوز حمل وملامسة من تُخشى نجاسته أثناء الصلاة تغليباً للأصل، الأصل: هو الطهارة، يعني الطهارة على غلبة الظن، فاليقين لا يزول بالشك، واليقين هو الأصل في طهارة الأشياء، والشك مظنة نجاسة ثياب الأطفال وأبدانهم، فأمامة كما تقدم عندما حملها النبي صلى الله عليه وسلم كان عمرها ثلاث سنين أو ما يقارب ثلاث سنين.

**أيضاً مما يؤخذ من الحديث:** جواز مثل هذه الحركة في الصلاة فرضاً أو نفلاً، وهذه المسألة تختلف فيها العلماء، فذهب الإمام مالك وبعض العلماء إلى أن الحركة الكثيرة تبطل الصلاة، وجعلوا من

الحركة الكثيرة هذا الفعل من النبي صلى الله عليه وسلم حمله لأمامة في صلاته، طيب عندنا الحديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، بماذا أجاب عليه الإمام مالك؟ الإمام مالك رحمه الله تعالى أجاب عن هذا الحديث بأمور لكنها لم تُسَلَّم للإمام مالك بهذا، فمما روي عن الإمام مالك في إجابته على هذا:

**التوجيه الأول:** أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك إنما كان في نافلة، والنافلة يتسامح فيها ما لا يتسامح في الفريضة.

**التوجيه الثاني:** قال هذه للضرورة، يعني من ذهب هذا المذهب مع الإمام مالك قالوا إن هذا للضرورة، يعني فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما حمل أمانة بنت زينب إنما كان ذلك للضرورة، وفسروا ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يجد من يكفيه أمرها أثناء صلاته، ففعل ذلك الفعل.

**التوجيه الثالث:** ما روي عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن هذا الحديث منسوخ، أي حديث حمل النبي صلى الله عليه وسلم لأمانة بنت زينب رضي الله عنهما، فهذا الحديث حديث أبي قتادة حديث منسوخ، وبلا شك أن المنسوخ معنى ذلك أنه لا يُعمل به، والعمل على ما كان ناسخاً، وأما الناسخ له في هذا الحديث فهو تحريم العمل والانشغال في الصلاة بغيرها.

هذه أوجه ثلاثة أجاب بها من قالوا بأنه لا يجوز حمل الصغير في الصلاة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

**وأجيب على هذه التوجيهات بهذه الأجوبة:**

**أما التوجيه الأول:** وهو أن ذلك كان في النافلة، فهو مردود بالروايات الصحيحة ومنها ما جاء في رواية الحديث "بينما نحن ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر أو العصر وقد دعاه بلال للصلاة، إذ خرج علينا وأمانة بنت أبي العاص على عنقه" فإذا كانوا ينتظرونه لصلاة فريضة فما كانت صلاة نافلة.

وكذلك بما أخرجه مسلم عن أبي قتادة أنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمانة على عنقه" فإذا هذه ترد على أنه كان في النافلة، بل كان فعله صلى الله عليه وسلم ذلك في الفريضة وما كان في النافلة.

**أيضاً مما أجيب به على التوجيه الثاني** وهو أن ذلك كان للضرورة كما فسر من فسر على ذلك: يقال أن حالة الضرورة في مثل هذا بعيدة جداً، فالنبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصحابه وهم ينتظرونه، من بيته، وكان في البيت كثيرون، يكفي واحد منهم لحمل هذه المهمة، أو لعمل هذه المهمة، وأن يكفي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فمَنْزل النبي صلى الله عليه وسلم الذي خرج منه كان فيه أهله وخدمه فإذا الأمر ليس للضرورة، وبهذا يرد على هذا.